مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) آب سنة ١٩٢٤ م الموافق محرّم سنة ١٣٤٢ هـ

الوأواء الدمشقي

وديوانه

شيء عنه: هو ابو الفرج محمد بن احمد الغساني . قال في حقه الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر :

« من حسنات الشام . وصاغة الكلام . ومن عجيب شأنه ، ما اخبرني به ابو بكر الخوارزمي قال : كان الوأواء منادياً في دار البطيخ بدمشق ، ينادي على الفواكه ، وما زال يشعر حتى جاد شعره ، وسار كلامه ، ووقع فيه ما يروق ، ويشوق ويفوق . حتى يعلو العيوق . »

واغفل ابن خلكان ذكره فاستدرك ذلك صاحب الفوات وقال فيه :

« شاعر مطبوع . منسجم الالفاظ . عذب العبارة . حسن الاستعارة . جيد التشبيه . بنى الحريري مقامة على قوله :

وامطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت وروداً وعضت على العناب بالبرد

قال : وتوفي في عشر التسعين والثلثمائة تقريباً »

اسلوبه : ليس للرجل اسلوب خاص يعرف به فهو يجري مجرى شعراء القرن الرابع وينظر الى حوك المتنبي ، وان لم يدرك الظالم شأو الضليع . ولا بدع في ان يقلد الوأواء المتنبي فهو لم يكن معاصره فحسب . بل كان كلاهما ممن لازموا باب سيف الدولة وعاشوا في نعمته : ابو الطيب شاعره . والوأواء من خزنة كتبه . وكان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المتنبي (زعيم ذلك العصر بل آية من آيات الدهر) . فلم يرَ الوأواء مندوحة عن تقليده والعدو وراءه . والتقليد داء قديم ولا يزال . فالشاعر في اول عهده ، يتطلع الى من بان شأوه ، فيحتذي على مثاله . ويضرب على ذالبه . وهو بعد ذلك اما ان يبذ اقرانه ويتخذ لنفسه مذهباً خاصاً . والا قضى دهره مقلداً

فالمتنبي الذي كان ينظر شعراء سيف الدولة — ومنهم الوأواء — الى اسلوبه كان هو لاول عهده يقلد ابا تمام ويطبع على غراره في الاغراب . حتى اذا اوفى على شعراء عصره وبعض من تقدمه ، اختط لنفسه طريقة خاصة واسلوباً مستقلاً .

ولا يقدح في الوأواء ان لا يكون له مذهب خاص يعرف به — وان حطه ذلك عن مقام الرئاسة — ذلك ان اصحاب المذاهب الصحيحة الذين يجوز ان يُقلدوا ، قليل عديدهم في كل فن ، وليس في مقدور كل فنان ان يكون اماماً في فنه .

وبعد فان اكثر ما يؤخذ على الوأواء ثلاثة امور :

الاول = انه يجهد نفسه في بعض قصائده ليجاري ابا الطيب في التشبيه وضرب المثل ، وهنا اظهر ما يكون ضعفه وتقصيره . لان المتنبي من نعلم . وهو من لا يشق له غبار في هذا الميدان . واذا جاز لمثل الوأواء ان يتبعه مقلداً فلا يصح ان يزاحمه معارضاً .

الثاني = انه يطلق يده في معانٍ مشهورة لشعراء عرفوا بها . ولا يندر ان يغير على البيت والبيتين فينتحلها جملة معنى ومبنى .

فمن امثلة ذلك قوله في مدح سيف الدولة :

من قاس جدواكَ بالسحاب فما انصف في الحكم بين شيئين
انت اذا جدت ضاحك ابداً وهو اذا جاد دامع العين

وقبله قال ابن الرومي :

من قاس جدواك يوماً بالسحب اخطأ مدحك
السحب تعطي وتبكي وانت تعطي وتضحك

ومن متخير شعره :

وتأملي غير الزمان فانه يحكي تغير وجهك المتغير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولرب ليل ضل عنه صباحه وكانه بك خطرة المتفكر
والبدر اول ما بدا متلثما يبدي الضياء لنا بخد مسفر
فكانما هو خوذة من فضة قد ركبت في هامة من عنبر

وهذا البيت الاخير مأخوذ بجملته من قول ابن المعتز يصف الهلال ايضاً :

انظر اليه كزورق من فضة قد اثقلته حمولة من عنبر

ويقول الوأواء :

وما ابقى الهوى والشوق مني سوى نفس تردد في خيال
خفيت عن المنية ان تراني كان الروح مني في محال

ومن شعر المتنبي وهو صبي :

روح تردد في مثل الخلال اذا اطارت الريح عنه الثوب لم يبن
كفى بجسمي نحولاً انني رجل لولا مخاطبتي اياك لم ترني

ومن قول الوأواء :

قيل لي تب من الهوى قلت اني تبت من توبتي فكيف اتوبُ

وقبله قال المتنبي في بدر بن عمار :

في كل يوم بيننا دم كرمة لك توبة من توبة من سفكه

وللوأواء :

لا تضع يا صاح لذاتك فالعمر قصيرُ
نل من اللذات ما تبغيه والله غفورُ

وقديماً قال ابو نواس :

تكثر ما استطعت من الخطايا فانك واجد رباً غفورا

الى كثير من مثل ذلك مما لو زحنا نتتبعه لامتد بنا نفس الكلام .

ولعله يشفع لهُ بعض الشيء ان ما يسرقه منا يبقيه لنا . فهو اذا سرق المعنى من بيت عربي ، اودعه بيتاً عربياً آخر ، قد لا يقل عن الاول متانة تركيب . وجمال اسلوب . وقد يسترقُ احياناً فيستحق — كما قيل — لا كما فعله شعراء العصور المتأخرة عصور فساد اللغة . وكما يفعله كثير من شعراء اليوم في كثير مما ينظمون : يأخذون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المعنى الفحل من البيت الجزل . فيفسدونه في شعر مفكك الديباجة غريب الحوك ، لا هو بالعربي فيعرف ولا بالاعجمي فيوصف . انكرته اللغات فسموه الشعر العصري . ثم كانهم ضنوا بهذا الشكل ان يختص بعصر دون عصر فسموه الاسلوب الجديد .

الثالث = ان الرجل يتوسع في الالفاظ بعض الاحيان توسعاً يخالف المسموع ولا تجيزه اللغة . من ذلك قوله :

هو السيف الا انه غير نابيء اذا خانه المقدور في كف ضارب

والفعل نبا ولم ترد نبأ في هذا المعنى . واذا قلنا ان هناك غلطاً من النساخ وانه اراد نابٍ . فالخطب — مع هذا — على اللغة والفصاحة ليس بايسر .

ومن قوله : وتلطمت وجناتنا ايدي الدموع من النحيب

وفي رواية اليتيمة . بيد الدموع

فيكون على الروايتين قد ضمن تلطم معنى لطم او التطم وهو ما لم يرد . وانما الوارد تلطم وجهه : اربد . وهذا ما لا يستقيم مع المعنى الذي اراده والجناس الذي رمى اليه بين اليد واللطم .

ومما ورد له :

علمت انها ستغلبني اياه اذ ما عمانها في حسابي

وهذا البيت غريب ! واغرب ما فيه انه عدى غلب الى مفعولين وهو ما لم ينقل ولا سمع مثله

ومن هذا القبيل قوله :

رمتني ولم اسعد بايام قربها بعيني مهاة امنحتني بسعدها

فاستعماله امنحتني هنا غريب . واغرب منه تعديتها بهذه الباء التي زادتها غرابة وثقلاً وهب ان في هذه اللفظة تحريفاً او تصحيفاً فالبيت بجملته اخلق بدار البطيخ منه بباب الادب

• •

هذا واني ارى للوأواء فضلاً يتميز به عن كثير من الشعراء وفي مقدمتهم المتنبي . ذلك انه صان نفسه في المدح عن مواقف الذل والضراعة . وتجافى بها عن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مطارح الالحاف والاجتداء . ونزه لسانه في الهجو عن البذاء . فليس في ديوانه ، وهو يقع في مائة واثنتين واربعين صفحة ، غير سبع قصائد في المدح : ثلاث في سيف الدولة واربع في الشريف العقيقي ، وقصيدة واحدة في الهجو لم يودعها شيئاً من هجر القول ولا مستنكره . وسائر شعره اكثره في الغزل ثم الوصف والتشبيه . وهذا اقرب الى العواطف . وامس بالشعور .

وليس هذا فحسب ، بل انه ترفع في قصائد المدح وقصيدة الهجاء عن ذل المتنبي واغراقه اذا مدح ، واسفافه وغلوه اذا هجا . بل غلب الغزل في قصائده هذه على المدح والهجاء

هذا هو الرجل الذي نشأ في دار البطيخ يبادي على الفواكه ، وهذه نفسه . وذلك هو المتنبي ابن المكتب ، مدعي النبوة وطالب الولاية ، وتلك نفسه . والوأواء مع هذا لم يدع لنفسه ما ادعاه ابو الطيب من الاباء والتحليق عن الضيم !

شعره : حسب الوأواء ان يذكر بالشعر بل يعد من الشعراء في زمن فيه مثل ابي الطيب وعلى باب سيف الدولة وعصره (الطراز المذهب)

غير ان ثمة امراً يجب ان لا يغفل ذكره ، وهو ان الوأواء لم يرفعه الى حيث هو شعره بجملته ، بل المختار منه . والرجل من طائفة كبيرة من الشعراء الذين لا يسأ اليهم اساءة هي اكبر من ان تطبع دواوينهم . فالثعالبي وامثاله من اصحاب كتب التراجم اذا اختاروا لشاعر انما يختارون من آياته وعيون ابياته . وكيف يكون غير ذلك وهم شعراء ، وفي معرض الاختيار : ودليل على اللبيب اختياره وكم من رجل هو في اختياره — كما قيل عن ابي تمام — اشعر منه في شعره .

فاذا قرأ احدنا لواحد من هؤلاء الشعراء قطعة مختارة او بيتاً منتخباً جدّ به الحرص على ان لا يقف عند ذلك فاذا نظر في سائر شعر الرجل لم يجد هناك كبير امر .

لقد اورد صاحب (الفوات) للوأواء هذا البيت الفرد :

واني لمشتاق الى من احبه فلا معه شوقي ولا صبره معي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو بيت غاية في الحسن والابداع يأخذ بمجامع العواطف والقلوب . فاذا رجعت الى الديوان رأيته يقول قبله :

رعى الله من لم يرع لي ما رعيته وان كان في كف المنية مودعي
فيا أسفي زدني جوى كل ليلة ويا كبدي الحرى عليه تقطعي

فاين هذان من ذاك دع ان معناهما مما لاكته الالسنة حتى سئمته النفوس ونبت عنه الاسماع

واذا مرَّ بك هذا البيت الذي اورده له الثعالبي :

يقمن لنا برق الثغور ادلة اذا ما ضللنا في ظلام الذوائب

اشجاك — وبينا انت تقرأ له في مختاراته :

قالت وقد فتكت فينا لواحظها كم ذا ؟ اما لقتيل اللحظ من قود ؟
وامطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد
انسية لو بدت للشمس ما طلعت من بعد رؤيتها يوماً على احد
كانما بين غابات الجفون لها اسد الحمام مقيمات على رصد

اذ بك تقرأ في ديوانه :

هو الفراق فعش ان شئت او فمت ليس الحياة اذا بانوا بمحبتي
ويح المنية اذ سارت ركائبهم لو انها اخذت روحي لاحسنت
قد كنت آملهم والبين يوعدني فانجز البين والآمال أخلفت

ولو لم يكن في هذه الابيات الا قوافيها التي ليس تحتها تحت . لكفتها هواناً وامثال ذلك كثيرة .

ومع هذا فحسنات الرجل غير قليلة ولولاها لما عد في المنزلة التي عد فيها . وهو اكثر ما يجيد في البيت والبيتين لذلك قيل — الوأواء في مقطعاته اشعر منه في قصائده — ومن حسناته :

بالله ربكما عوجا على سكني وعاتباه لعل العتب يعطفهُ
وعرضا بي وقولا في كلامكما ما بال عبدك بالهجران تتلفهُ
فان تبسم قولا في ملاطفة ما ضر لو بوصال منك تسعفهُ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وان بدا لكما في وجهه غضب فغالطاه وقولا ليس نعرفهُ

ومنها :

جعلت تشتكي الفراق — وفي اجفانها عقد لؤلؤ منثورِ
فكأن الكحل السحيق مع الدمع — على خدها بقايا سطور

وكذلك قوله ..

الله يعلم ما تركت وداعه ولقد جزعت لفقده وفراقه
الاَّ مخافة ان يذيب فؤاده ما في فؤادي منه عند عناقهِ

وقوله : ايا ملزمي ذنب الدموع وقد جرت فأبدت من الاسرار كل مصونِ
اعنّي على تأديب دمعي فانه يتوب اذا ما كنت انت معيني

وله : كم صلاة على فتى مات سكراً قد اقيمت فينا بغير اذانِ
ايها الرائح الذي راحتاه من خضاب الكؤوس مخضبتان
عد بضحك الاقداح في رهج القصف — اذا ما بكت عليه القناني
واشرب القهوة التي تنبت الورد — اذا شئت في خدود الغواني
في رياض تربك بالليل فيها مُرجًا من شقائق النعمان
الفات مؤلفات ولامات — تكوّن من ضمير المعاني
كتبتها ايدي السحاب بافلام — دموع على طروس المغاني

ديوانه : هذا هو الوأواء الذي عني بتصحيح ديوانه حضرة السيد (اغناطيوس كراتشقوفسكي) مدرس العربية في المدرسة الكلية الامبراطورية في بطرسبرج واحد اعضاء مجمعنا العربي . وقد طبع الكتاب بنفقة قسم اللغات الشرقية من المدرسة المذكورة في مطبعة (بريل) بمدينة (ليدن) سنة ١٩١٣ م — ١٣٣١ هـ

وهذا الديوان مطبوع طبعاً متقناً على ورق جيد صقيل ومضبوط بالشكل الكامل . وقد نقله مصححه الى الروسية نثراً وعلق على هذه الترجمة حواشيَ بيّن من بعض ما ورد فيها من العبارات والالفاظ العربية مبلغ ما عاناه الاستاذ في تصحيح الكلمات ورد بعض ما هو محرف منها الى اصله .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد جعل في آخر الديوان ملحقاً (يحتوي اشعار — الوأواء — المنسوبة اليه في كتب مختلفة وهي غير الموجودة في ديوانه) وألحق بذلك فهرساً للقوافي وآخر للاعلام التي جاءت في الديوان

والذي يؤخذ على هذا الكتاب:

اولاً = ان النسخة العربية جاءت خلواً من ترجمة الشاعر ومن ذكر اي شيء عنه

ثانياً = ذكر الاستاذ في اول الديوان انه هو الذي (جمعه وعني بتصحيحه) وما احسب لفظة (جمعه) الا وردت سهواً لانه يقول عن الملحق كما ذكرنا آنفاً — انه: (يحتوي اشعار الوأواء غير ما هو في ديوانه) فمن هذا ومما ورد في الصفحتين الرابعة والخامسة من الترجمة الروسية (١) ومما هو مشهور ومعروف بين اهل الادب يتبين ان شعر الوأواء كان مجموعاً قبل طبع هذا الديوان

ثالثاً = ذكر في الترجمة الروسية بعض ما ورد في الابيات من الروايات ولم يذكر شيئاً من ذلك في النسخة العربية مع ان مثل هذا انما الحاجة اليه في العربية اكثر مما هي في الروسية

رابعاً = ان العناية في التصحيح كانت قاصرة فكثرت الاغلاط في الوزن والانتقال من بحر الى بحر من ذلك ص ١٠٨ :

عز الهوى في حكمها ذلُّ ... والحكم في طرق الهوى جهلُ

نطق الجمال ببسط عذر محبها ... للعاذلين فاخرس العذلُ

ولعل الصواب (نطق الجمال بعذر عاشقها).

ومن ذلك ص ٣٠ :

---

(١) مدرج في حاشية الصفحة الرابعة: هذا آخر ما وجد من كلام الوأواء الدمشقي. وكان الفراغ من نسخه يوم الثلثا بعد الظهر في ١٩ شعبان سنة ١٢٩٧ في المدينة المنوّرة على يد الحاج فتح الله البخاري. وفي حاشية الصفحة الخامسة «هذا آخر ما وجد من كلام الوأواء الدمشقي. وكان الفراغ من نسخه في ١٧ ربيع الاول سنة ١٢٩٨ على يد كاتبه مصطفى محمد الشلشموني» فهذا دليل على وجود نسختين.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

صب بحسن متيم صبٍ حبه فوق نهاية الحبِ

والصواب حبيه

وص ٢٥ ا (ان اعضاءي فيك تحكي القلوبا) وصوابها اعضاي . وص ٢٤ :

واذا النميمة للرياح جرت ما بينهن لموعد حربا
صدت اصول فروعها وتواصلت؟ اغصانها لنسيمها حبا
وبدا وصالها لانها لا يملكان لفرقة قلبا
فكأنما عشق البعاد دنوه ا لبعاده من قربه قربا

ومن ذلك : قد قلت اذ عذبوني في محبته لي وحق الهوى عن عذلكم شغلُ

وص ١٦ :

قد اورقت منه الظنون فأثمرت امل تظل فيه الشكوك يقينا

والصواب به

ومثل هذه الاغلاط كثيرة جداً

خامساً = وقع خطأ ايضاً في ضبط بعض الكلمات من حيث الشكل والاملاء من ذلك .
الغمض من قوله : اذا اكتحلت بالغمض عين المراقب . ضبطها بالكسر وصوابها بالضم
وفي الصفحة ٨٥ ثلاثة ابيات اولها :

ابيضٌ واصفرٌ لاعتلال فصار كالزجل المضعف

وهذه الابيات اوردها الثعالبي في يتيمته (أبيضُ واصفر لاعتلال) . وهو اقرب واطبق .
وفي الصفحة الثانية :

كأن بياض الفجر في ظلمة الدجى بياض ولاءٍ لاح في قلب ناصبِ

والاولى ناصبي .

وفي الصفحة الـ ١٨ :

(ضدان قد وكّل بضدين) والصواب وكلاً وامثال هذه كثيرة جداً

سادساً = في الصفحة الخامسة والخمسين من الترجمة الروسية بيتان عربيان وددت لو تنزه الكتاب عنهما . اذ هما مما تشمئز منهما النفوس ولا طائل تحتهما .
هذا ما رأيت ان الفت نظر الاستاذ الزميل اليه . على ان هذه الهفوات اذا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سلبت هـذا الديوان شيئاً من رونقه . فهي لا تنتقص فضل المصحح . ولا تقال من همته واجهاده .

فنحن نثني عليه جد الثنآء . ونسأل الله ان يوفقهُ في مستقبل الايام الى خدمة هذه اللغة العربية الكريمة ، خدمة اجل واتم ان شاء الله . عارف النكدي

في ٢٥ — ١٠ — ١٣٤٢ — العضو في المجمع العلمي العربي

***